

حظوظ اجتماع بيروت في تحريك قرارات "سيدر"

بعد أسبوع و يوم تتعقد اجتماعات بدعوة من جامعة الدول العربية للبحث في الشأن اللبناني والقدرة على تنفيذ اقتراحات تعديل الادارة العامة والحد من الهدر وتحفيز النشاطات الاكثر أهمية والاحاجا ان على الصعيد الصحي، او على الصعيد الاجتماعي والاقتصادي. ولا بد من استرجاع بعض المعطيات التي تساعد على تحصص آفاق المستقبل. وهنا لا بد من مراجعة نجاحات الجامعة او فشلها في تحفيز الاقتصادات العربية والتفاعل في ما بينها ونتائجها منذ اوائل الخمسينات. كما ثمة حاجة الى تصور السلطات اللبنانية لوسائل الاصلاح والزمن المطلوب لتفعيل المؤسسات الحيوية وتجاوز ممارسات الاستفادة الفردية او الطائفية او العشائرية لدى اللبنانيين. اذا أردنا المصارحة الحقيقة، علينا ان نركز على ما هو مطلوب بوضوح وشجاعة والا يكون الهم الاساسي توزيع التهم على الرسميين وغيرهم بهم يسعون الى ضمان حاجاتهم المستقبلية والتتأكد من افتتاح فرص الدراسة المميزة والوظائف المغيبة والمتطرفة خارج لبنان. لنبدأ بالجامعة العربية ونشاطها في مجال التحفيز الاقتصادي للدول الاعضاء وتشجيع التعاون والتبادل الاقتصادي في ما بينها. نسبة كبيرة من سكان الدول العربية لا يدركون ان للجامعة العربية دوراً في الاسهام بتشجيع اقتصادات الدول الاعضاء وتتنوع نشاطاتها وتوسيع التبادل التجاري وتكريس التعاون الفني وتنسيق انتاج الموسام الزراعية وتسهيل الانتقال البري بين الدول الاعضاء. بكلام آخر، كان من الواجب على الجامعة العربية ان تتعقل اتفاقاً يسمح بتوقع قيام سوق عربية مشتركة. عند تأسيس الجامعة العربية قبل 65 عاماً وتزيد، طورت الجامعة اتفاقاً يهدف الى اقامة سوق عربية مشتركة، وكانت ظروف الدول العربية النفطية في حينه متواضعة لان سعر النفط لم يكن يزيد على دولارين للبرميل، وعائدات الدول المعنية لا تزيد على 25-35 سنت عن كل برميل. وفي تلك الحقبة، وقبل اخفاق الحكم الناصري في تنشيط الاقتصاد المصري، كانت مصر تمثل الاقتصاد العربي الاكبر وفرض الناجح في مصر للمقدمين والمعطانيين والفنانيين كانت مشجعة، ومن ثم اطاحت ثورة الضباط الاحرار النظام الاقتصادي الحر في مصر وحضرت النشاطات الأساسية، كالنقل وتشغيل قناة السويس وانجاز الفنادق الكبيرة وشركات استيراد الضروريات، بدوائر تابعة للدولة يشرف عليها فريق الضباط الذين يفقدون الخبرة. خلال أقل من خمس سنوات، كانت مصر قد فقدت جاذبيتها للاستثمار وتبني حكم عبد الناصر مظاهر التجربة الاشتراكية وسع قوانين التأميم، وتالياً أبعد الناشطين من المواطنين اليونانيين والبريطانيين واللبنانيين عن الحياة الاقتصادية والاجتماعية، فذلت صورة مصر كدولة قيادية فنياً واقتصادياً وصناعياً. وعبر التأثير السياسي توسيع حركة الاشتراكية، من غير ان تكون ارتكزت على قواعد علمية وادارة جيدة في سوريا والعراق، واصبح هنالك توجه متزايد لفرض المنهج الاقتصادي الناصري، فنقوت العصبيات وطاولت الثورات العراق وسوريا ومن بعد ليبيا والجزائر، واصبح العالم العربي بعيداً من التطورات العالمية. الاتحاد الجمركي بين الدول الاوروبية الذي وقع في روما عام 1956 تجاوز نطاق الدول المؤسسة السبت وارسيت قواعده على حرية الاستثمار، والعمل، والتبادل التجاري، وارساء معاهد مشتركة للدروس الفنية، والعسكرية. وكانت الاوضاع في بلداننا العربية على تراجع ولم تترجم اتفاقات التبادل الحر بين الدول العربية الى اية اجراءات عملية. وبعد عام 1973 وارتفاع اسعار النفط بقوة، بقيت المبادرات التجارية بين الدول العربية ضئيلة، واذا تجاوزنا تجارة المواد النفطية التي تقيد بعض الدول العربية المنتجة، نجد ان تبادل المنتجات بين الدول العربية لم يتجاوز منذ 50 سنة نسبة خمسة في المئة من حجم الدخل القومي للدول المعنية، وتالياً أخفقت توجهات الجامعة لان التنظيم المتداوّل للحدود لم يتوافر لدى دوائرها. والحكم الناصري قدم التوجهات السياسية على التطوير الاقتصادي، فحوال اليمن دولة اشتراكية تنازع السعودية، وفرض سياسات التأميم في سوريا، وعبد الكريم قاسم تبني المنهج الناصري في العراق، ومن ثم انحصر التعاون العربي الاقتصادي بين الدول الاشتراكية. الانفتاح العربي الوحد على التعاون وتطويره تبدى لدى الدول العربية النفطية الخليجية. بهذه الدول فتحت أبوابها للموظفين والعمال من البلدان غير النفطية، فتوافرت آلاف فرص العمل للفلسطينيين واللبنانيين والسورين وبتدرج زمني بدأ في الكويت فالسعودية والعراق والبحرين وقطر وأبو ظبي والى حد ما في سلطنة عمان. ويضاف الى هذا الانفتاح، انشاء صناديق عربية لتأمين تمويل مشاريع انشائية أساسية في البلدان العربية، وكانت الكويت الدولة المقدامة في هذا المجال، فأسست الصندوق الكويتي، ومن ثم اسهمت مع السعودية الى حد بعيد في تأسيس الصندوق العربي للانماء الذي كان مركزه في الكويت وتولى رئاسته الراحل الدكتور صائب جارودي الذي كان وزيراً للاقتصاد في لبنان اوائل السبعينات، وأسهمت بعض دول الخليج في تطور عمل مصارف عربية. ومنذ عقدين تولت الدول النفطية في الخليج تطوير المؤسسات الاعلامية والتربوية والبيئية والجامعية، وعقدت اتفاقيات مع الدول الصناعية لتحرير التجارة، وخفضت الضرائب وتسهيل الاقامة وتقبل حريات الحياة الاجتماعية الغربية. لبنان قدم دراسة موسعة من 1200 صفحة انجزها خبراء شركة ماكينزي لتقديمها الى مؤتمر "سيدر"، وحين اعتبر المشاركون في المؤتمر ان هذه الدراسة توفر صورة عامة معروفة

وبنادولها الاقتصاديون في لبنان منذ زمن من غير ان توفر تصوراً عملياً للتنفيذ، طالبوا الحكومة اللبنانية باقرار اصلاحات أساسية وحيوية سواء في الهيئات التنفيذية أو التخطيطية، وارتاؤا اصلاحات حيوية تحصر فرص الاستفادة غير الشرعية من المسؤولين ومعاونיהם. وبعض المشاركون في مؤتمر "سيدر" رأوا ان دراسة شركة ماكينزي لا تعتبر مفيدة بالقدر المطلوب، فقد انجزت خلال ثلاثة أشهر استناداً الى معطيات معروفة، وفي هذا الوقت أصبح من المعروف ان حكومة جنوب افريقيا تقاضي الشركة لا غالاتها تبيان حقائق عمل أكبر مؤسسة تجارية في جنوب افريقيا يملكونها تجار كبار هنود، والمبالغ المخفية تضاهي 800 مليون دولار.ماذا ستقدم الحكومة اللبنانية برهاناً على جديتها في معالجة الفساد وتمكين المؤسسات الرئيسية من العمل وقد احافت على الصعيد الاقتصادي الى حد بعيد؟ - بعد سنتين ونصف سنة من بداية العهد، لم تتحقق خطوات رئيسية لمعالجة ازمة النفايات التي برزت منذ خمس سنوات -.بعد دراسة ارقام موازنة 2018 مدة سنة لدى اللجنة النيابية المختصة سعيًا الى خفض العجز 250 مليون دولار، ارتفع العجز 1000 مليون دولار واصبحت نسبة العجز تفوق معدل 10 في المئة من الدخل القومي .- وزارة الدولة لمكافحة الفساد لم تحقق أي مبادرة نافعة وصدر عن وزيرها تدخل في غير موضعه القانوني وتدخل آخر محاج في طبيعته .- عجز الكهرباء الذي هو السبب الرئيسي لتفاقم الدين العام وثمة توصيات في شأنه منذ عام 1998 لم تنفذ منها أي خطوة، والتوصيات من البنك الدولي. ليس هنالك توجّه لتحسين ادارة مصلحة كهرباء لبنان، والتوجّه اخيراً (منذ ثلاثة أشهر) نحو فرض تجهيز كل مشترك بعداد الكتروني للاستهلاك مطروح منذ 1996 وخبرة الالمان في محادثاتهم قبل نهاية السنة المنصرمة مع وزير الطاقة لم تثمر اي تناهـم. ووضع الكهرباء على تراجع والمولادات الخاصة التي تؤمن الاضاءة والطاقة على أساس القطاع الخاص لا مجال لاغلاقها دون تنفيذ خطة لا تحتاج الى اكثـر من سـنة تؤدي الى وفر منـذ السنة الثانية يتتجاوز العجز السنوي الحالي ويـسـهم في خـضـنـسـنـةـ التـلـوـثـ منـ تـوـلـيـدـ الكـهـرـباءـ .- وضع تمـيـدـاتـ توـفـيرـ مـيـاهـ الشـرـبـ مـهـترـئـ وـنـطـاقـ تـأـمـيـنـ المـيـاهـ لـلـمـسـتـهـلـكـيـنـ وـالـمـسـتـثـمـرـيـنـ سـيـئـاـ إـلـىـ حدـ بـعـيدـ وـتـقـدـيرـ تـلـوـثـ المـيـاهـ يـتـجـاـوـزـ مـعـدـلـ 70ـ فـيـ المـنـةـ .ـ وـكـانـتـ هـنـالـكـ دـائـمـاـ اـنـقـادـاتـ لـاـسـرـائـيلـ بـاـنـهـ تـسـرـقـ جـزـءـاـ مـنـ مـيـاهـ الـلـيـطـانـيـ لـحـاجـتـهـ إـلـىـ الـمـيـاهـ،ـ وـقـدـ طـورـتـ اـسـرـائـيلـ تـقـيـاتـ توـفـيرـ لـهـ جـمـيعـ حاجـاتـهـ مـنـ تـحـلـيـةـ الـمـيـاهـ بـكـلـفـةـ لـاـ تـزـيدـ عـلـىـ 56ـ دـولـارـاـ لـلـبـرـمـيلـ الـوـاحـدـ الـذـيـ يـتـوـافـرـ يـوـمـيـاـ لـمـدـةـ سـنـةـ،ـ وـآـخـرـ مـعـلـ لـتـحـلـيـةـ الـمـيـاهـ اـنـجـ قـبـالـهـ تـلـ اـبـيـ يـحـلـ يـوـمـيـاـ 655ـ اـلـفـ بـرـمـيلـ تـكـفـيـ حاجـاتـ سـكـانـ أـكـبـرـ مـدـيـنـةـ فـيـ اـسـرـائـيلـ.ـ قـيـاسـاـ بـنـجـاحـاتـ أـوـ اـخـفـاقـاتـ الجـامـعـةـ الـعـرـبـيـةـ فـيـ تـطـوـيـرـ النـعـاـنـ وـالـتـفـاعـلـ الـاـقـتـصـادـيـ،ـ لـنـ يـكـوـنـ هـنـالـكـ نـجـحـ لـمـؤـتـمـرـ الـذـيـ يـنـعـدـ فـيـ نـهـاـيـةـ الـاـسـبـوـعـ الـمـقـبـلـ،ـ وـالـاـمـلـ فـيـ مـسـاعـدـاتـ نـقـدـيـةـ مـنـ اـطـرـافـ عـرـبـ قدـ يـتـحـقـقـ بـعـضـهـ اـنـمـاـ لـيـسـ بـمـبـالـغـ كـبـيرـةـ لـاـنـ مـقـاـيـيسـ نـجـاحـ الـعـلـمـ الـحـكـومـيـ فـيـ السـنـتـيـنـ المـنـصـرـمـتـيـنـ تـكـادـ تـكـوـنـ مـفـقـودـةـ.